

Endülüs'teki Muvahhidler Devleti Döneminde Vatan, Aşk ve Vatan Özlemi Şiirleri: Edebî Bir Çalışma.

Dr. Alshimaa Samy MOHAMED¹

Öz

Vatan özlemi ve nostalji şiiri, Endülüs'teki Muvahhidler döneminde siyasal ve sosyal yaşamın kollarından biri kabul edilir. Zira bu dönem, İber Yarımadası'nda Arap ve İslam varlığının gerçek ve fiili çöküş dönemi olarak nitelenir. Bu da bir takım sebeplerin sonucu olarak ortaya çıkmıştır ki, başlıcaları: Müslümanlara karşı güçlü İspanyol saldırıları, Endülüs yöneticilerinin zayıflığı ve Muvahhidler devletinden bağımsızlıklarını ilan eden bazı valiliklerin kurulmasıdır. İşte bu durum İspanyolların Endülüsü Araplardan geri alma arzusunu arttırmıştır. “Geri alma/kurtarma savaşları” olarak isimlendirilen savaşlara neden olmuş, Arapları İspanya'ya sonradan gelmiş yabancılar olarak kabul edip ülkeden kovulmalarının gerekli olduğunu düşündürmüştür. Bu sebeple bilfiil, Endülüs dışında ya da içinde daha güvenli alanlara doğru çekilme dalgaları ortaya çıkmaya başlamıştır. İşte bu, siyasî yaşam şairlerin edebî ürünlerine de yansımıştır. Şairler, istemeden terkettikleri ülkelere karşı duydukları aşk ve özlemlerinden dolayı çektikleri sıkıntıları şiirlerinde tasvir ederek dile getirmişlerdir. Bu araştırmanın ele alıp işleyeceği ana konu da budur.

Anahtar Kelimeler: *Şiir, özlem, nostalji, Almohadların durumu, Andalus.*

Geliş Tarihi: 16.05.2019 - Kabul Tarihi: 09.08.2019 Araştırma Makalesi
Bu makale Turnitin programıyla kontrol edilmiştir. Copyright © İstanbul Aydın Üniversitesi

¹Helwan Üniversitesi, Mısır. E-Posta: Misho_miss@yahoo.com

The Longing and Longing for the Homelands in the Era of the Almohad State in Andalusia

Abstract

The poetry of longing and nostalgia to the homeland is a natural extension of the tributaries of political and social life in the era of the Almohads in Andalusia, this age is historically classified as the era of real and actual collapse of the Arab and Islamic presence in the Iberian Peninsula; , The neglect of some rulers of Morocco to the countries of Andalusia, which was under their possession, and the growing internal strife between the rulers of Morocco and Andalusia, and the establishment of some governors declare their independence from the Almohad state, which increased the greed and desire of the Spanish to recover Andalusia from the The "wars of redemption," which were considered to be the Arabs, are alien to the country, and they must be expelled from them. Indeed, movements and waves of displacement began to emerge outside Andalusia to the Maghreb or the Arab Mashreq. To reflect this political life on the literary output of the poets, they photographed all the nostalgia and longing to their country, which they left against their will, and this will be monitored research.

Keywords: Poetry, longing, nostalgia, the state of the Almohads, Andalus

شعر التشوق والحنين إلى الأوطان في عصر دولة الموحدين بالأندلس دراسة فنية د. الشيماء سامي محمد¹

الملخص

إن شعر التشوق والحنين إلى الأوطان يعتبر رافداً من روافد الحياة السياسية والاجتماعية في عصر دولة الموحدين بالأندلس، فهذا العصر يُوصف بعصر الانهيار الحقيقي والفعلي للتواجد العربي والإسلامي في شبه جزيرة أيبيريا؛ نتيجة للعديد من الأسباب منها: تتابع ضربات الأسباب القوية على المسلمين، وضعف حكام الأندلس، وقيام بعض الولاة بإعلان استقلالهم عن الدولة الموحدية، الأمر الذي زاد من رغبة الأسباب في استرداد الأندلس من العرب، وهو ما سُمّي "بحروب الاسترداد" التي كانت تُعتبر أن العرب دُخلوا على البلاد، ويجب طردهم منها، وبالفعل بدأت تظهر موجات من النزوح خارج الأندلس أوداؤها في مناطق أكثر أمناً، وانعكست هذه الحياة السياسية على النتاج الأدبي للشعراء، فقاموا بتصوير كل ما يعانونه من حنين وشوق إلى بلادهم التي غادروها رغماً عنهم، وهذا ما سيرصده هذا البحث .

الكلمات المفتاحية: شعر – التشوق – الحنين – دولة الموحدين – الأندلس.

1 دكتوراه في اللغة العربية - قسم اللغة العربية-كلية الآداب - جامعة حلوان - مصر .

Misho_miss@yahoo.com

المقدمة :

امتد عصر دولة الموحدين بالأندلس خلال القرنين السادس والسابع للهجرة، ففي القرن السادس كان الأسبان يهددون دولة الإسلام في الأندلس، وشبح الانهيار يتراءى أمام أعين الناس، والفتن الداخلية بين حكام الأندلس مستعرة، أما في القرن السابع فقد انعطفت الحياة منعطفًا خطيرًا، فانكسرت شوكة المسلمين إثر معركة قاسية هُزم فيها المسلمون هزيمة فادحة أمام الأسبان، حيث تحالف ألفونسو الثامن ملك قشتالة وبدرو الثاني ملك أرجوان وشانجه ملك نبره، واستطاعوا هزيمة المسلمين في معركة العقاب (609هـ - 2121م)⁽¹⁾، ولم تقم للعرب والمسلمين قائمة بعدها في الأندلس .

سقوط مدن الأندلس:

إذن يمكن القول إن حركة الاسترداد المسيحي وصلت إلى ذروتها في عصر الموحدين، وأخذ المسلمون يواجهون حروبًا قاسية من جانب الأسبان الذين استطاعوا تكوين تحالفات وتكتلات سياسية لمواجهة العرب في الأندلس، وقد استطاعوا بفضل هذه التحالفات تضيق الخناق على المسلمين والعرب، وقد بذل الموحدون جهودًا مضنية واستبسلوا في الدفاع عن الأندلس، إلا أنهم في آخر الأمر لم يستطيعوا الصمود أمام تلك الضربات المتوالية، فأخذت المدن الأندلسية تتساقط الواحدة تلو الأخرى في يد الأسبان، وبعد كل هذه الانتكاسات انحصر الوجود العربي بالأندلس في مملكة غرناطة فقط .

¹ - خسيوس روبرا متى، مارياء، الأدب الأندلسي، ص: 31

والشعراء كغيرهم من عامة الناس أخذوا يرحلون عن مدنهم إلى مدن أخرى أكثر أمنًا، وبعد الرحيل نجد أشعارهم تفيض بالأسى والشوق والحنين إلى تلك الأوطان التي غادروها قسرًا، وهم على دراية وعلم أنهم قد لا يعودون إليها ثانية، وقد امتزج الحنين أحيانًا بوصف معالم البلاد، والبكاء لما وقع بها من دمار وخراب.

وقد قال الله تعالى في أهمية الوطن وتعلق النفس به: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنْبِيئًا) (1)، فقد قرن الله تعالى في الآية الكريمة القتل بالخروج من الديار، وهذا دليل واضح على عِظَم وجمال هذا الأمر .

وقد أشار صاحب مختصر كتاب البلدان إلى قيمة الحنين إلى الوطن والتشوق إليه حيث ذكر على لسان بعض الحكماء قولهم: "أولى البلاد بالحنين إليه بلدٌ شربت ماءه، وطعمت غذاءه،....، وقال كذلك في نفس الموضوع: " إن أردت أن تعلم وفاء الرجل ودوام عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه" (2)، بل ويَعُدُّه حازم القرطاجني الداعي لأول لقول الشعر حيث قال: " إن السبب الأول الداعي لقول الشعر هو الوجد والاشتياق والحنين إلى المنازل المألوفة، وألأفها عند فراقها، وتذكر عهودها الحميدة" (3).

1 - سورة النساء الآية:66.

2 - ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد، مختصر كتاب البلدان، ص: 238

3 - القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء، ج2/249-250

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال قراءة دواوين شعراء عصر الموحدين، ودراسة أشعارهم، وتصنيفها، وتحليلها، واستخراج شعر التشوق والحنين إلى الأوطان منها؛ لذلك فهو الأنسب لهذه الدراسة .

أولاً : تعريف الحنين في اللغة والاصطلاح :

الحنين في اللغة: بالرجوع إلى جذر كلمة الحنين وهو الفعل الثلاثي (حَنَّ) الذي طرأ عليه التضعيف فصار (حَنَّ) .

وفي لسان العرب:حَنَّ، الحَنَّان:من أسماء الله الحسنى، والحَنَّان هو الرحيم بعباده، وحنن الإبل:نزعت إلى أوطانها أو أولادها، وحننت الناقة على ولدها:أى تعطفت.(1)، وقال الفيروز آبادي:الحنين هو الشوق، وشدة البكاء(2)، إذن الحنين يدل على طرب، وشوق، ورحمة، وعطف، هذا من الجانب اللغوي.

الحنين في الاصطلاح:الحنين معناه الشوق، وتوقان النفس، مع الطرب والتنجيم، وهو يكشف عن مدى معاناة الإنسان في ديار الغربة بعيداً عن وطنه، والحنين قد يكون لإنسان، أو مكان، أو زمان.

ظاهرة الحنين في الشعر الأندلسي :

كانت البداية الحقيقية لهذا الغرض " الحنين " في بداية عصر الدولة الأموية ، نتيجة الابتعاد والاعتراب عن البلد الأم " المشرق "، ثم تطور

1 - ابن منظور، جمال الدين بن محمد، لسان العرب، مادة حنن .
2 - الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، القاموس المحيط، ص: 1192

وازدهر في العصور اللاحقة؛ ولعل السبب في ذلك يرجع إلى الأحداث السياسية بالأندلس، وسقوط معظم المدن الأندلسية في يد الأاسبان، الأمر الذي دفعهم إلى الهجرة من ديارهم، وترك أوطانهم، وفراق الأهل والأحباب، ودفعتهم كل هذه الأمور إلى نظم أشعار باكية من شدة اللوعة، والحسرة، والشوق، والحنين.⁽¹⁾

ويبدو أن هناك أسبابًا أخرى كانت وراء توسع الأندلسيين في شعر الحنين، منها: المشاركة في جهاد العدو الأاسباني، ورحلات الأندلسيين إلى المشرق طلبًا للعلم، أو لزيارة الديار الحجازية للحج والعمرة، أوللتجارة، الأمر الذي كان يتطلب منهم غيابًا طويلًا عن الوطن، مما أشعل في نفوسهم مشاعر الشوق والحنين إليه.⁽²⁾

شعر التشوق والحنين إلى الأوطان في عصر دولة الموحدين :

يمثل شعر الحنين إلى الأوطان صورة من صور الحياة الاجتماعية في ذلك العصر، وقد بلغ ذلك الشعر مداه بعد تتابع سقوط المدن الأندلسية، فأصبحت الأندلس تتراعى لهم كجنة ضاعت وفردوسًا فُقدَ .

1 - عتيق، عبد العزيز، الأدب العربي في الأندلس، ص: 273

2 - الداية، محمد رضوان، في الأدب الأندلسي، ص: 131

فقال الشاعر أبو البقاء الرندي(1) في الحنين لوطنه (2):

تحنُّ الكرامُ حنينَ الطيورِ
لأوطانها لأوكارها
وتتذكرُ فيها عهدَ الصِّبا فتزدادُ شوقاً
بتذكرها

يتذكر الرندي موطنه ومسقط رأسه مدينة رُنْدَة(3)، فيحن ويتشوق إليها، ويتذكر عهده بها، وخاصة أيام شبابه، ويشبِّه حنينه إلى بلده بحنين الطيور إلى أماكنها وأعشاشها، ويرى أن الحنين إلى الأوطان من شيم الكرام، الذين يتذكرون أوطانهم دائماً بكل خير، ولا ينسونها أبداً مهما تغيرت الظروف والأحوال.

وقال الرندي كذلك متشوقاً إلى الأندلس والأهل والأصحاب (4):

هبتَّ الريح وفاحت الخزامى(5)
عَبَّتْ في شَمَلِنَا أَيْدِي النَّوَى
مَالِ شَوْقٍ أَيْقَظَ الزَّوْرَ وَقَامَا
دَمَعُ الْيَتَامَى

1 - الرُّندي: هو صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف، اختلفت المصادر في كنيته، فهو تارة أبو الطيب، وأخرى أبو محمد، وقيل أبو البقاء، وُلِدَ عام (601هـ)، وعاش في عصر المحنة الكبرى في أواسط القرن السابع الهجري بالأندلس، كان بارعاً بالنظم والنثر معاً.

الخطيب، لسان الدين، الإحاطة: ج: 3/360

2 - أبو البقاء الرندي، الديوان، ص: 165

3 - حصن رُنْدَة: بضم أوله، وسكون ثانيه، حصن بين إشبيلية ومالقة، بها زرع واسع، وضرع سابغ.

الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج: 3/73-74

4 - أبو البقاء الرندي، الديوان: 223

5 - الخزامى: نبات طيب الرائحة.

ابن منظور، جمال الدين بن محمد، لسان العرب، مادة خزم.

يا نسيماً هبَّ من	فتلقَّتْ طَيِّبَهُ
أندلسٍ	ريحُ النَّعامِ
أطيبُ الأرضِ التي	لا عِراقاً
أنتم بها	عُمرت ولا
	شاماً
تلك أوطانٌ إذا	ولثمنا الترابَ لم نخش
عُجنا بها	مَلاماً
وإذا كُننا بها	وإذا مِثَّنا بها
عِشنا بكم	مِثَّنا
	كِرَاماً
أه من شوقي لقومٍ ما	ذِكْرُهُم إلا جرى دمعي
جرى	سِجَماً

يتشوق الرندي في الأبيات إلى وطنه، فيقول إن ريح الأندلس هبت وفاحت رائحتها الطيبة، فأيقظت شوقه إلى بلاده الذي عبثت به أيدي الأسبان، وفرقتهم عن شملهم، ويستخدم الرندي أسلوب النداء فينادي على نسيم الأندلس مؤكداً له أن الأندلس من أقرب الأماكن لقلبه، ثم يضعها في مقارنة مع العراق والشام، فيرى أنها الأفضل، ويتوجع من شوقه وفراقه لأهله وقومه، فدموعه تجري كلما جرى ذكرهم. وفي الحنين نحو الوطن قال ابن سهل الإسرائيلي(1):

1 - ابن سهل الإسرائيلي: اسمه أبو إسحاق بن سهل الإسرائيلي الأندلسي، وُلد سنة (605هـ) وقيل (609هـ)، نشأ في إشبيلية ثم غادرها فور استيلاء الأسبان عليها، ألقب بالإسرائيلي لأنه كان يهودياً ثم أسلم، قال عنه المقرئ: "قد خُسِن إسلامه"، أشاد بشعره العديد من النقاد والمؤرخين، قال عنه المقرئ: "إنه شاعر إشبيلية وشاحها"، مات غريباً في البحر، عام(649هـ)، قيل عنه بعد وفاته: "عاد الدرُّ إلى وطنه".
المقرئ، أحمد بن محمد، نفع الطيب، ج3/522-526، المغربي، ابن سعيد، المغرب: 269/1

ولمَّا عزمنا ولم مصانعة الشوق
يببق من غير اليسير
لو علم الركبُ خطبي لما صحبوني
إذن عند المسير
إذا ما سرى نفسي في ع أعاد همو نحو حمص¹
الشرأ زفيري
وقفنا سحيرا وغالبتُ فنادى الأسي حسنه مَنْ
شوقي مُجيري؟⁽²⁾

يصور لنا ابن سهل الإسرائيلي تجربته في السفر وفراق الوطن، ويقول إنه لما عزم على مغادرة الأندلس غالبه شوقه قبل أن يسافر، ولو علم الركب الذي سيسافر معه هذا الشوق لما صحبه عند السفر، وعندما تحرك الركب أخذت أشواقه وزفراته تهفو نحو إشبيلية في حزن وحسرة، إنها تجربة مريرة عندما يترك الإنسان وطنه ويُجبر على الرحيل عنه قسراً، ويذهب إلى المجهول ناجياً بنفسه من الدمار الذي حلَّ ببلاده.

¹ - حمص: يقصد بها مدينة إشبيلية، وإشبيلية: مدينة كبيرة، وليس بالأندلس اليوم أعظم منها، وتسمى حمص أيضاً، وكان بها بنو عبّاد، وتقع غرب قرطبة، يُنسب إليها جماعة كبيرة من أهل العلم.

² - ابن سهل الإسرائيلي، الديوان: 37-38

وقال الرصافي(1) في بلنسية(2) وقد خرج منها صغيرا(3):

بَلَنْسِيَّةٌ تَسِيلُ عَالِيَهَا
الرَّجَزِ دَهْدَةٌ 4 التي
كُلُّ لَوْلُؤَةٍ نَهْرًا
كَأَنَّ عَرُوسًا أَدْعَى اللَّهُ حَسَنَهَا
فَصَيَّرَ مِنْ شَرَحِ الشَّبَابِ
لَهَا عُمْرًا

يُشَبِّه الرصافي بلدته بلنسية بالزمردة التي يطغى جمالها على معظم اللآلئ، وبالعرُوس التي أَدْعَى اللهُ في جمالها وحسنها، وبأنها فتاة حسناء سوف تظل على جمالها ولن تتحول إلى الشيخوخة .

وقال كذلك في رصافة(5) بلنسية:

وَلَا كَالرَّصَافَةِ مِنْ مَنْزِلِ
سَقْتِهِ السَّحَابُ صَدَّابُ
الْوَالِي
وَأَيْنَ السَّوَرِيُّ مِنْ
المَوْصَلِ(6)

1 - الرصافي: هو محمد بن غالب الرصافي، المكنى بأبي عبد الله، وهو رصافي بلنسي، خرج من وطنه صغيراً، فكان يُكْتَر الحنين والشوق إليه، أشاد بشعره لسان الدين بن الخطيب قائلاً: "إن لشعره رونقاً وحلاوة، وطلاوة، ورقة، وتمكن ألفاظ".

المقري، أحمد بن محمد، نفع الطيب: 9/4.

2 - مدينة بلنسية: مدينة مشهورة بالأندلس، تقع شرق قرطبة، ذات جمال وأشجار وأنهار، يُنسب إليها جماعة كبيرة من أهل العلم، وأهلها خير أهل الأندلس.

الحموي، ياقوت، معجم البلدان: 490/1-491

3 - الرصافي، الديوان: 70-71

4 - الزبرجدة: الزمردة .

ابن منظور، جمال الدين بن محمد، لسان العرب، مادة زبرجد.

5 - الرصافة: مدينة تُصَاقَب حاضرة بلنسية، وتُصَاقَب أي تقارب، وهي من أبداع متفرجاتها، اشتهرت بجمالها الطبيعي، مناظر وبساتين ومياه جارية، وقد كُتِرَ ذكرها في الشعر.

المغربي، ابن سعيد، المغرب، ج 342/2

6 - الرصافي، الديوان: 118

في الأبيات يشبه الرصافي حاله بحال السري وهو أبو الحسن السري بن أحمد بن السري الكندي الرفاء الموصلّي شاعر مشهور بالعراق، كان في صباه يرفو ويطرز (يعمل خياطاً) بالموصل؛ ولذا سُمّي بالرفاء، وهو من شعراء سيف الدولة الحمداني، وقد ذكره الرصافي لابتعاد كل منهما عن وطنه، فقد عاش السري بعيداً عن الموصل أكثر عمره، وهو أيضاً تغرب عن وطنه الرصافة.

وقال ابن الأبار⁽¹⁾ في بلنسية⁽²⁾:

إيه بلنسيةً وفي يَمْرِى الشؤون دماءها لا
ذكَرَاك ما ماءها
كيف السبيل إلى احتلال معاهدٍ شَبَّ الأعاجم دونها
هَيَّجَاءها

يتذكر الشاعر مدينته بلنسية، وخاصة بعدما سقطت في يد النصارى، وقد قدّم ابن الأبار هذه القصيدة لأبي زكريا الحفصي ملك المغرب، بعد ضياع بلنسية يستنهض فيها همته لإنقاذ الأندلس.

وقال ابن الأبار في الرصافة كذلك⁽³⁾:

1 - ابن الأبار: هو الإمام الحافظ الكاتب الناظم الناصر المؤلف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، وُلد ببلنسية سنة (595هـ)، تتلمذ على يد أبيه القرآن الكريم والفقه والحديث الشريف وعلوم اللغة، رحل عن بلنسية عندما زحف عليها ملك أرغوان، قُتل قَعُصاً بالرماح بسبب هجائه لأحد الأمراء وسط محرم عام (658هـ)، ثم أُحرق وأحرقت معه كتبه ومجلداته.

المغربي، ابن سعيد، المغرب: 309/2، المقري، أحمد بن محمد، نفح الطيب: ج2/589-594

2 - ابن الأبار، الديوان: 36

3 - المصدر السابق: 60

ما للهوى إلا الرصافة مَأْرَبُ بعد الغدير فكيف يصفو
 مَشْرَبُ ؟
 كانا مَرَادًا للنعيم إذ كنت بينهما
 ومَوْرِدًا أجيء وأذهب
 وكان كافورًا ومسكًا ونهارها مما
 ليها يروق
 ويعجب

قال الشاعر هذه الأبيات وهو لاجئ بتونس أو بجاية، يحن فيها إلى مسقط رأسه، فيتذكر أيام النعيم التي عاشها بالرصافة، عندما كان يتجول ويذهب فيها حيث يشاء، وقد وصف ليها بالكافور والمسك، ونهارها بالمعتدل، واستخدم الشاعر أسلوب الاستفهام، والغرض منه الحسرة، فالشاعر يتحسر على مدينته ووطنه الذي فارقه دون إرادته .

وقال ابن سعيد(1) في تشوقه لإشبيلية(2):

لولا تشوقُ أرضِ حمصٍ ما دمعى ولا شمتتُ بي
 جرى الأعداءُ
 لم أستطع كتمًا ما كان لي كتمٌ ولا
 إخفاءً له فكأنني
 والبدرُ مهما رام كتمًا من فيه ينمُّ على
 سرى سُرَاهُ ضياءُ

1 - ابن سعيد المغربي: هو أبو الحسن على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد، ينتهي نسبه لعمار بن ياسر، وُلد في غرناطة عام (610هـ)، ونشأ في أسرة لها فضلها في المجد والأدب والسياسة، خلف تراثًا ضخمًا من المؤلفات منها: المغرب في حلى المغرب، والمشرق في حلى المشرق، كما له ديوان شعري ذكره المقرئ في النسخ، توفي عام (685هـ).

المقرئ، أحمد بن محمد، نفح الطيب، ج2-270-274 .

2 - المغربي، ابن سعيد، الديوان: 31

بلدُمتي يخطر له قلببي وخوان
ذكر هفا تصبُّر وعزاء
من بعده ما الصبح يشرق عـندي ولا تتبدل
نورهُ الظلماء

يؤكد ابن سعيد أنه لولا التشوق لإشبيلية ما كان ليبيكي كل هذا البكاء الذي لم يستطع كتمانته وإخفائه، مثل البدر الذي لا يستطيع أن يُخفي ضوءه، ويقول إن إشبيلية بلد جميل ، كلما يأتي ذكره يخفق قلبه من شدة الحزن والألم على فراقه، ومن بعد هذا الفراق أصبحت حياته في ظلام لا يشرق نور الصباح فيها أبدًا، ولا تتبدل الظلماء.

ويحن ابن سعيد إلى مدن الأندلس بصفة عامة قائلاً (1):

أين حمصٌ ؟ أين أيامي بعد ما لم ألق شيئاً
بها ؟ يُعجب
وإلى مالقة² يهفو قلب صبِّ بالنوى لا
هوى يقلب
وعلى مرسية³ منزل فيه نعيم
أبكي دمماً معشب

1 - المصدر السابق : 50-52

2 - مالقة: مدينة عامرة بالأندلس تقع بين الجزيرة الخضراء والمرية .

الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج4/5

3 - مرسية: بضم أوله، وسكون ثانيه، وكسر السين المهملة، وهي مدينة بالأندلس عامرة ذات أشجار وحدائق، كانت تُسمى بتدمر الشام، صارت لبعض الوقت قاعدة الأندلس .

المصدر السابق: 107/5

وقال ابن سعيد هذه الأبيات وهو في القاهرة، وفيها يحن ابن سعيد إلى جميع مدن الأندلس، فيذكر إشبيلية وأيامه بها، ويتذكر نهرها الكبير الذي يفضله على نهر النيل، ويذكر أنه لم تعجبه أي بلد سواها، ثم يذكر مألقة فيهفو قلبه عند ذكرها، ويبكي على مرسية بكاءً حاراً لما حدث فيها من أحداث جسام، مُظهرًا غربته وحزنه .

وفي نفع الطيب(1)قال أبو الربيع الكلاعي(2):

أحنُّ إلى نجدٍ ومن ومــــاذا الذي يغني حنيني أو
حلَّ في نجدٍ يُجدي
وقد أوطنوها وإد محــــبَّهُم رهــــن
عينَ وخلفوا الصــــبابــــة و
الوجد
تــــيــــبــــيــــنــــنــــ بالــــبــــين ووجدي فساوى ما أجنُّ بالذي
اشتياقي إليهم أُبدي
وضاقت على الأرض حتى وشاخَ بخــــصــــرٍ أو
كانها سوار على زند

في الأبيات السابقة يتصاعد الحنين وشكوى الزمان وصروف الدهر التي أبعدت الشاعر عن أرضه وأهله، شاكيًا هجرة الأحبة، ويوضح أنه من شدة المعاناة التي يعيشها بعيدًا عن وطنه أن الأرض أصبحت ضيقة عليه ، كأنها وشاخ ضيق على خصره ، أو أسورة ضيقة على معصمه .

1 - المقري، أحمد بن محمد، نفع الطيب، ج4/476

2 - أبو الربيع الكلاعي: هو سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن أحمد بن عبد السلام الحميري الكلاعي، يكنى أبا الربيع، نشأ الشاعر في بيئة صالحة، فكان حميد السيرة، ألف ديوانًا شعريًا ذكره ابن الخطيب في الإحاطة، كان الشاعر شديد البلاء في الغزوات التي كانت بين المسلمين والنصارى، وقد استشهد في موقعة أنيثة سنة (634هـ).
المقري، أحمد بن محمد، نفع الطيب، ج4/472

وقال ابن الجنان الأنصاري في الحنين لوطنه(1):

أجُنُّ حنينَ النَّيبِ² نحو ديارِكم وأشكو وقلبي في ذراكم من
البُعد
فيالـ.....غريبِ الدار لهـ.....فانُ غـ.....ريقُ بمـ.....اء
موجعُ الدمعِ ظمآنُ للوردِ
يظلُّ قريحَ الجفنِ محترقَ الحشأ فكفُّ على جفنِ وأخرى
على كبد
نأيتُ أحبابي وفارقتُ وأرضًا هي الجناتُ لو فزتُ
جيرتي بالخلد
وياحبذا الأوطانُ بالكره لـجورِ جوارِ الكـفرِ
فُورقتُ والزمنِ الوغد(3)

قال الشاعر هذه الأبيات بعد سقوط مدينته، وهي أشعار تفيض بالأسى واللوعة والحسرة، فيشكو الشاعر لأحد أصدقائه ألم البعد والفراق، ويوضح ما يعانیه الغريب من اللفة على وطنه، فهو دائم الحزن والبكاء على هذا البعد، فيظل قريح الجفن لا يعرف النوم طريقًا له، وأخيرًا وصف وطنه بجنة الخلد، ويوضح الشاعر أنه فارق وطنه مكرهاً بسبب الغزو الأسباني، ونراه أخيرًا غير راضٍ عن هذا الزمن الذي يعيش فيه، ويصفه بالزمن الوغد .

1 - ابن الجنان الأنصاري: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الجنان، كان شاعرًا وناثرًا، تحدثت المصادر عن علمه، وخلقته، ومكانته بين علماء عصره، أشهر بشاعر المديح النبوي في الأندلس في القرن السابع الهجري.

المقري، أحمد بن محمد، نفع الطيب، ج 431/7

2 - النيب، هي الناقة المسنة، ويضرب بها المثل في الحنين .

3 - ابن الجنان الأنصاري، الديوان : 100

وقال أبو المطرف بن عميرة⁽¹⁾ في الحنين إلى بلنسية بعد تدميرها⁽²⁾:

ألا أيُّها القلبُ المصرحُ بالوجدِ أما لك من بادى الصبابةِ من
 بِدِّ
 يَحْسِنُ إلى نجدٍ وهيهات صروفُ الليالي أن يعودَ إلى
 حَرَّمتِ نجدِ
 أمن بعد رُزءٍ³ في بلنسيةِ بأحنائنا⁴ كالنصار
 ثوى مُضْرمةِ الوقدِ

بعث أبو المطرف بن عميرة بهذه القصيدة إلى أحد أصدقائه، يصور له فيها آلام الفراق والشوق الدائم لمدينته بلنسية، وقد استخدم الرمز في التعبير عن حنينه لوطنه، فقد رمز إليها بالأماكن الحجازية، ليُكسب القصيدة أثراً بالغاً، كما عبر عن مشاعر الحزن والأسى اللذين يختلجان صدره لما حدث في بلنسية من أحداث جسام، إلى جانب شعوره باليأس والإحباط.

المبحث الثاني الدراسة الفنية :

انتهج الشعراء الأندلسيون في عصر الموحدين الأساليب الفنية القديمة التي سار عليها مَنْ سبقهم من شعراء الأندلس، حيث ساد الاتجاه التقليدي على خصائص هذا العصر، وقد دفعت الأوضاع غير المستقرة الشعراء إلى الابتعاد عن شعر العبت والمجون والغزل، والتوسع في موضوعات الزهد والمدائح النبوية وشعر الجهاد، من هنا كان لا بد من دراسة الخصائص الفنية والأسلوبية لشعر الحنين في عصر الموحدين.

1 - أبو المطرف بن عميرة: هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي، ومدينة شقر مسقط رأسه، وُلد في أواخر القرن السادس لأسرة تهتم بالعلم، ترك شقر واستقر في بلنسية بعض الوقت، تنقل بين عدة مدن أندلسية لتلقى العلم، ثم ترك الأندلس ذاهباً صوب المغرب العربي؛ بسبب التدهور السياسي الذي شهدته الأندلس في هذا العصر، وقد برع في الأدب والكتابة.

المقري، أحمد بن محمد، نفع الطيب، ج1/313-315

2 - المصدر السابق: 305/1

3 - الرُّزءُ : المصيبة ،ابن منظور، جمال الدين بن محمد، لسان العرب، مادة: رزأ .

4 - وردت كذلك : بأحياننا .

أولاً سهولة الألفاظ:

اللغة من أهم مكونات القصيدة، فيها يعبر الشاعر عما يجيش في صدره من عواطف وانفعالات، وما يجول في خلدته من أفكار، فيجب أن يتحرى الشاعر الجميل والمناسب والأنيق والحسن من الألفاظ، وقد أكد على أهمية الألفاظ عبد القاهر الجرجاني فقال: " يجب أن يكون اللفظ مما يتعارف عليه الناس في استعمالهم، ويتداولونه في زمانهم، ولا يكون وحشياً غريباً، أو عامياً سخيماً". (1)

ويقول د. عبد العزيز عتيق عن الأندلسيين: " أما ألفاظهم فتتميز بالسهولة والوضوح والعذوبة، وقلما يعثر الإنسان في شعرهم على لفظة حوشية أو غريبة، أو لفظة تنبو عن الذوق العام، أو تعاف الأذن صوتها". (2)

وإذا نظرنا إلى أشعار الحنين في عصر دولة الموحدين فإننا نجد أنه جاء متفقاً مع ما ذهب إليه النقاد، فقد اتسمت أشعارهم بالرقّة واللين والسهولة والفصاحة والبعد عن الابتذال، ويبدو التلاؤم بين الألفاظ والمعاني جلياً في قصائد الحنين، ومن الأشعار التي اتسمت بالرقّة واللين والفصاحة والسهولة ما قاله ابن الأبار (3):

يــــــــــــــــــــا سَقِّــــــــــــــــــــى اللّاهُ كَنْــــــــــــــــــــى ســــــــــــــــــــىــــــــــــــــــــم الصَّبَا
لِلرِصَافَةِ عَهْداً يَرْقُ وَيُنْدَى

أَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَرْجِعُ الدَّهْرُ يَشْهَدُ الطَّيْبُ أَنَّهُ كَانَ
عَيْشاً شُهْداً

1 - الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص: 6

2 - عتيق، عبد العزيز، الأدب العربي في الأندلس، 168

3 - ديوان ابن الأبار: 186

لم نلاحظ من خلال أبيات أي لفظة وعرة أو غريبة يصعب فهمها، بل نلاحظ سلاسة هذه الألفاظ ورقتها وسهولتها التي تخرج من القلب لتلامس الأسماع والقلوب ، فتجعل السامع يرق لحاله ويتعاطف معه.

ثانياً صدق العاطفة:

إن صدق العاطفة من أقوى العوامل التي تتوقف عليها القيمة الجمالية لأي عمل أدبي، حيث كان للعاطفة أثرها البالغ في الشعر عامة، وفي شعر الحنين خاصة "فالعاطفة هي الانفعال النفسي المصاحب للنص"⁽¹⁾.

إن صدق العاطفة يعني صدق الشاعر في التعبير عن إحساس صادق ألمّ به ، وعصف برأسه، فصِدقُ الشعور من أقوى أسباب الإجابة الشعرية لدى الشاعر، وهذا ما دلل عليه أحد النقاد قائلاً: "إن العاطفة يجب أن تكون صادقة ، أردنا بهذا أن الأديب يجب أن يحس في نفسه الحزن أو الحماسة أو الإعجاب الذي يطالبنا أن نحسه أيضاً"⁽²⁾.

وقد خلف لنا هؤلاء الشعراء شعراً في الشوق والحنين، يتميز بشكل خاص بصدق العاطفة، وفيض الشعور، وعمق التجربة، ورهافة الحس، والانفعالات الإنسانية الفياضة والمتدفقة والمغلطة بنبرات حزينة مؤلمة، فقال ابن الجنان الأنصاري في الحنين لوطنه⁽³⁾:

1 - الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، ص: 180

2 - الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي: 181

3 - ابن الجنان الأنصاري، الديوان : 100

فيالـــــغريب الدار لهفانٌ غـــــريقٌ بمـــــاء
موجعٌ الدمع ظمآن للورد
يظلُّ قريحَ الجفنِ محترقٌ فكفتُ على جفن وأخرى على
الحشا كبد

فالعاطفة المسيطرة على الشاعر هي عاطفة الحزن، فالشاعر يشبه المغترب بالغريق ، فهو يظل قريح الجفن لا ينام أبدًا، كما يظل محترق الأحشاء من شدة الحزن.

وقال ابن سعيد في حزنه على مدينة مرسية (1):

وعـــــلى مرســـــية أبكى مـــــنزلٌ فـــــيه
دمًا نعيمٌ مُعشَبٌ

فالشاعر شديد الحزن والوجع على سقوط مدينة مرسية ، ويوضح أنه يبكي دمًا على ما حدث في تلك المدينة من دمار، بعدما كانت من أجمل مدن الأندلس.

إن شعر الحنين في عصر الموحدين، اتسم في معظمه بصدق العاطفة وروعة التصوير، كما عبر فيه الشعراء عن حبهم الصادق لأوطانهم وحنينهم إليها.

1 - ابن سعيد المغربي، الديوان : 50-52

ثالثاً التجربة الذاتية الشعرية:

تمر بالإنسان تجارب عديدة في الحياة، متباينة في نوعها، وفي مدى إحساس كل فرد بها قوة أضعفًا، والشاعر الحق هو الذي يتفاعل مع تجربته، ويهضمها ويسيطر عليها بفكره، "والشاعر يعبر في تجربته عما في نفسه من صراع داخلي سواء أكانت تعبيرًا عن حالات مرَّ بها هو، أم عن موقف إنساني يمثله" (1).

فقال ابن الأبار وقد جمع بين الحنين للوطن والأهل معًا (2):

هم أخرجونا من الأوطانِ وزحزحُونَا عن
عن حَنَقٍ الجيرانِ من ضغنِ
وأهًا وأهًا يميــــــــــــوت موتَ المحامدِ بين
الصبرِ بينهما البخلِ والجبنِ

في الأبيات السابقة يصور الشاعر ابن الأبار ما حدث من تهجير قسري له ولأصحاب الأرض عندما استولى عليها الأسيبان، وشعوره بالغربة، فهم مكرهون على الخروج غير مخيرين، فالشاعر يوضح التجربة المريرة التي عاشها عندما أرغم على الخروج من وطنه .

وفي نفس المعنى قال كذلك ابن الأبار (3):

هيهاتَ يَدْنُو الصبرُ مِنِّي وَأَنَا البــــــــــــــــعيدُ
بَعْدَهَا الأهلِ والأوطانِ
أَسْرُرُ وَقَسْرُرُ لا قَرَارَ وتـــــــــــــــــعْرُبُ عـــــــــــــــــن
عليهما أسرتي ومكاني

1 - هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، ص: 365

2 - ابن الأبار، الديوان: 336-337

3 - المصدر السابق: 348

يعبر ابن الأبار عن حالة الحزن والأسى التي عايشها بسبب تغربه عن وطنه وأهله، ثم يشرح ما يعانیه أهل البلدان التي تسقط في يد الأسبان، فهم ما بين الأسر، أو التهجير القسري والتغرب، فلم يعد له القدرة على الصبر بعدما تعرضت له مدينة بلنسية من مصائب .

رابعًا المزج بين الحنين إلى الأوطان ووصف الطبيعة، ورثاء المدن:
بين شعر الحنين والتغني بجمال الطبيعة صلة عميقة تؤدي إلى التمازج والتداخل بينهما، لقد سحرت الطبيعة ألباب شعراء الأندلس، فإذا ما ابتعدوا عنها ألهمت الغربية مشاعرهم، وفاضت قرائحهم بالشوق والحنين إلى أرض الوطن، ومن هنا مزج الشاعر الأندلسي بين شعر وصف الطبيعة، وشعر رثاء المدن، وبين شعر الحنين إلى الأوطان، ولعل الأمثلة الشعرية التالية تصور هذه الظاهرة بشكل واضح.

فقال الرندي في الحنين إلى مدينة إشبيلية⁽¹⁾:

وأين حمص وما تحويه من ونهرها العذب.....ذبُ فياضٌ
نزهٍ وملاؤ

فالشاعر يحن إلى منتزهات مدينة إشبيلية، ونهرها العذب الفياض، واصفًا طبيعتها الخلابة، وذلك من خلال قصيدة حنين طويلة وصف فيها ما تتمتع به طبيعة إشبيلية من جمال طبيعي، وما تحويه من أماكن ساحرة وأنهار عذبة جارئة .

1 - أبو البقاء الرندي، الديوان : 234/233

أما المزج بين الحنين ورتاء المدن فظهر في قصيدة الرندي المشهورة بالنونية التي قال فيها⁽¹⁾:

فاسألْ بلنسية ما شأن مرسيةٍ وأين شاطِبةٌ أم
أين جَيَّانُ
وأين قرطبةُ دارُ العلومِ من عالمٍ قد سَمَا فيها
فكم له شأنُ
وأين حمص وما تحويه من ونهرها العذْبُ
نزهِ فياضٌ ومالانُ
وأين غرناطةُ دارُ الجهادِ أسدٌ بها وهُمُ في الحربِ
وكم عُقبانُ
وأين حمراءُها العليَا كأندلسها مــــن جَدَّانِ
ورُخْرُفُها الخلدِ عدنانُ

تتميز القصيدة بغلبة عنصر العاطفة عليها ، وقد مزج الرندي في هذه الأبيات بين رتاء المدن والحنين إلى الأوطان، حيث أخذ في وصف كل مدينة سقطت في يد الأاسبان، وما تتمتع به من مزايا، وما تتفوق به على غيرها من المدن، وقام بندبها واصفًا الحزن الذي أصابه وأصاب عامة الناس لفقدائها مستخدمًا أسلوب الاستفهام الذي يُظهر مدى أسفه وحسرتة على ما آل إليه حال البلاد بعد الغزو الأاسباني.

خامسًا مذهب الصنعة اللفظية البديعية في شعر الحنين إلى الأوطان:
عاش الأندلسيون في بيئة مترفة لاهية، وحضارة مزدهرة، دفعت بالشعراء الأندلسيين إلى تجويد أشعارهم والعناية بها، وتزيينها بأنواع الصنعة البديعية لتتناسب مع روح العصر السائدة آنذاك، ومن المحسنات اللفظية التي استخدمها الأندلسيون في شعر الحنين إلى الأوطان: (الجناس – الطباق).

1 - المصدر السابق : 232-234

أولاً: الجناس: ويقال له التجنيس (1): " وهو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر أو كلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها"، وهذا ما أكده صاحب كتاب الصناعتين قائلاً: "التجنيس هو أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتهما في تأليف حروفها" (2)، "ولا يستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن المرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً". (3)

وقال ابن الأبار مستخدماً الجناس (4) :

إلى الإلقين من أهلي تأوَّبني اشتدَّياقى
ودار واد كـارى
وحنَّ القلب أعشَّاراً إليها حنينَ الوالهاتِ مِ.....ن
العشار
فَبِتَّ كَأنى تَوَقَّفا على مثلِ الأسنه
وشوقاً والشفارِ
وماحشُو الضلوع سوى أوارٍ وما نومُ الجفون
سوى غرارِ

جانس ابن الأبار بين كلمات (حنَّ- حنين)، و (أعشَّاراً – العشار)، و(توقاً –شوقاً)، و(الأوار – غرار)، حيث يبدو أثر الجناس واضحاً من خلال الجرس الموسيقي المنبعث من اشتراك الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى، مما يلفت نظر السامع إلى التعرف على المعنى في النص .

1 - ابن المعتز، أبو العباس بن عبد الله، البديع، ص: 107-108

2 - العسكري، أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل، ج2/321

3 - الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص: 7

4 - ابن الأبار، الديوان: 210

وقال في الحنين للوطن والأهل معاً⁽¹⁾:

وَجَفَا الْكَـ_____رَى مِنْ بَعْدِكُمْ	غَابَتْ عَلَيَّ
أَجْفَانِي	لِبِعْدِكُمْ أَشْجَانِي
إِطْفَاؤُهَا أَعْيَا	وَتَضَرَّرَمْتُ بَيْنَ
ع_____لِي	الْجَوَانِحِ لَوْعَةً
الطوفان	
وَأَنْتَ الْبِـ_____عِيدُ	هَيْهَاتَ يَدْنُو الصَّبْرُ مِنِّي
الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ	بَعْدَهَا
وَتَغْرِبُ ع_____نِ	أَسْرٌ وَقَسْرٌ لَا
أَسْرَتِي	قَرَارَ عَلَيْهِمَا
وَمَكَانِي	
فَظَضَ الْعِزَاءِ	هَذَا وَكَمِ أَثْنَاءَ هَذَا
وَمِنْ هَوَى وَهَوَانِ	مِنْ أَسَى

جانس ابن الأبار أيضاً بين: (بُعْدِكُمْ – بَعْدِكُمْ)، (إِطْفَاؤُهَا- الطوفان)، (أشجاني – أجفاني)، (أسرٌ- قسرٌ)، (هوى – هوان)، فبدت الموسيقى الداخلية واضحة، كما أعطت جرساً موسيقياً من خلال الألفاظ المنتقاة المشتركة في اللفظ، مما أثرت في نفس المتلقي وجعلته يتعاطف مع الشاعر الذي ابتعد عن مدينته فنظم شعراً يتشوق فيه إليها.

ثانياً الطباق: يقال عنه التطبيق: "وهو أن تكون الكلمة ضد الأخرى"⁽²⁾، ويُعرفه كذلك ابن المعتز قائلاً⁽³⁾: "المطابقة في الكلام الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة.

1 - المصدر السابق : 348

2 - ابن منقذ، أسامة، البديع في نقد الشعر، ص: 42

3 - ابن المعتز، أبو العباس بن عبد الله، البديع، ص: 124

ومن الشعراء الذين استخدموا الطباق الشاعر الرصافي في قوله (1):

بلادی التي ریشت قويدیمتی فُرِيخًا وأوتنی
بها قرارتــــــــــــــــها
وَكُوراً
مبادئ لین العیش فی ریق أبی الله أن أنسی لها أبداً
الصبا نكرا

استخدم الرصافي الطباق بين كلمتي: (أنسى – ذكرنا)، وفي جمعه بين المتضادين تبرز قدرة الشاعر على نقل صورة واقعية لغربته وبعده عن وطنه، والذي كان له أثره في إبراز المعنى وتأكيده .

وقال الرندي (2):

تلك أوطانُ إذا
عُجنا بها
وإذا كُنَّا بها
عِشْنَا بِكُمْ
وَأَتَمْنَا التَّرْبَ لم نَحْشَ
مَلَامًا
وإذا مِنَّا بها
مِثْنَا
كِرَامًا

استخدم الرندي الطباق بين (عشنا – متنا)، ووللطباق أثره في نفس السامع، فالجمع بين الشيء وضده في الكلام من الأمور التي يميل إليها الطبع، فاستخدام الشاعر للطباق يسهم في إبراز المعنى الذي يريده، وهو إظهار معاناته وغربته عن وطنه، وما شعر به نتيجة لهذا البعد .

1 - الرصافي، الديوان : 68

2 - أبو البقاء الرندي، الديوان : 223

سادساً الصور الفنية:

اهتم الشعراء الأندلسيون بالتصوير الفني في أشعارهم، مما دفعهم إلى حشد العديد من الصور الفنية في القصيدة الواحدة، وما ذلك إلا بسبب شغفهم بالتصوير الفني، وتعميق مضامين أشعارهم، ومن أهم ملامح الصور الفنية التي استخدمها الأندلسيون في شعرهم: (التشبيه).

و التشبيه⁽¹⁾: "هو الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه"، وقد عرفه السكاكي قائلاً: "التشبيه مستدع طرفين، مشبهاً ومشبهاً به، وقد اشتركا معاً في وجه".⁽²⁾

قال الرصافي في بلنسية⁽³⁾:

بَلنْسِيَّةٌ تـــــــلكَ تـــــــيلُ عليـــــــها كـــــــلُّ
الزَّبرجـــــــدةُ التي لـــــــؤلؤةٌ نَهـــــــرا
كَأنَّ عروساً أبداع الله فصير من شَرخِ الشبابِ لها
حُسْنها عُمرا

استخدم الرصافي في البيت الأول التشبيه البليغ، فشبه مدينته بلنسية بالزبرجدة التي غلب جمالها على جمال باقي المدن، أما البيت الثاني فقد استخدم الشاعر التشبيه أيضاً، فشبه مدينة بلنسية بالعروس الجميلة، وذكر وجه الشبه وهو الحُسْن، وذكر كذلك أداة التشبيه (كأن)، ومن نفس القصيدة قال الرصافي⁽⁴⁾:

1 - العسكري، أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ج2/239

2 - السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، ص:332

3 - الرصافي، الديوان: 70-71

4 - المصدر السابق: 70

هي الذرة البيضاء من حيث أضاءت ومَن للذر أن يشبه
جنتها البدر

وشبهها الرصافي كذلك باللؤلؤة البيضاء في جمالها وقوة إضاءتها، وقد استخدم الرصافي التشبيه البليغ فقد شبه مدينة الرصافة بالذرة البيضاء، وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، مما أثار ذهن المتلقي.

سابعًا التناص:

لم يتفق النقاد المعاصرون على تعريف واحد لمفهوم التناص، عُرف بأنه تداخل النصوص ببعضها عند الكاتب أو الشاعر طلبًا لتقوية الأثر، أو توسعًا في القول بالإحالة على نصوص أخرى، "فالتنص بالنسبة للشاعر بمثابة الهواء والماء والمكان للإنسان، فلا حياة له بدونهما، ولا عيشة له خارجهما".⁽¹⁾

ولقد أدرك الشعراء منذ الجاهلية ضرورة تواصل الشاعر مع تراثه الشعري، والاعتراف منه، واقتفاء آثار السلف، وقد أشار الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- إلى هذا الأمر حيث قال: "لولا أن الكلام يُعاد لنفد".⁽²⁾

إذن التناص أساسه التفاعل والتشارك بين النصوص، وهذا يقتضي الحفظ والمعرفة بالنصوص السابقة، وإعادة نسجها بطريقة تتناسب مع كل قارئ ومبدع، وهذا يتفق مع ما طرحه د/ محمد عبد المطلب بشأن الإنتاجية الشعرية، فهي تمثل استعادة النصوص القديمة، في شكل خفي

1 - مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري استراتيجيات التناص، 125

2 - القيرواني، ابن رشيق، العمدة، ج79/1

أحياناً، وجليّ أحياناً أخرى، بل إن قطاعاً كبيراً من هذا النتاج الشعري يعد تحويراً لما سبق؛ ذلك أن المبدع لا يتم له النضج الحقيقي إلا باستيعاب الجهد السابق عليه في مجالات الإبداع. (1)

فقال أبو الربيع الكلاعي (2) :

أحنُّ إلى نجدٍ ومَن حلَّ في ومــــــإذا الذي يُغــــــني
نجدٍ حنيني أو يُجدي؟
وضاقت عليَّ وشاح بخـــــــصيرٍ أو
الأرض³ حتى كأنها سوار على زند

استخدم أبو الربيع الكلاعي أيضاً التناص من القرآن الكريم ، حيث ضاقت عليه الأرض بعد خروجه من وطنه، فيُشبه حاله بحال مَنْ تخلف عن الغزو مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم – الذين ضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

وقال ابن الأبار (4) :

ومــــــكرةً أنــــــفاً فــــــلا تــــــخــــــلني
فــــــيما قلتُ لا بطل⁽⁵⁾ خــــــلياً من جــــــوى
الحزن
هم أخرجونا من الأوطانِ عن وزحــــــونا عن
حــــــقِّ الجــــــيران من ضــــــغن

1 - عبد المطلب، محمد، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: 141-142

2 - المقرئ، أحمد بن محمد، نفح الطيب، 4/476

3 - الآية : 118 من سورة التوبة .

4 - ابن الأبار، الديوان: 336-337

5 - الميداني، مجمع الأمثال، 930

يوضح الشاعر أن خروجه من وطنه بلنسية جاء قَسْرًا ، فهو وجميع أهلها مضطرون إلى مغادرتها، بسبب هجمات الأسبان، وقد استخدم الشاعر التناص من المثل السائر (مكره أخوك لا بطل) ويضرب به لمن يُحمل على أمر وهو لا يريد .

الخاتمة :

الحنين إلى الأوطان فن شعري أصيل يرتبط بالحياة، فهو من الفنون التي تعنى بتصوير جوانب من الحياة، وتكشف عن الكثير من الحقائق التي سجلها التاريخ، وهو مثال صادق لمرحلة تحمل في طياتها أحداثًا سياسية، وفتنًا داخلية، امتدت إلى أكثر من قرن ونصف القرن من الزمان .

أهم نتائج البحث :

أولاً: يرتبط شعر الحنين إلى الأوطان بمدى الاستقرار السياسي الذي تحظى به البلاد، فكلما تمتعت البلاد بوضع سياسي مستقر قلت عمليات النزوح والهجرة، وبالتالي يقل شعر الحنين إلى الوطن .

ثانياً : شعر الحنين إلى الأوطان لا يُقصد منه التكسب؛ لأنه يمثل تجربة ذاتية مرَّ بها الشعراء.

ثالثاً: يتميز شعر الحنين إلى الأوطان بالصدق الفني، وعدم المبالغة أو التكلف، وسهولة الألفاظ، وروعة التصوير، وعمق المعاني.

رابعاً: امتزج شعر الحنين إلى الأوطان في بعض الأحيان ببعض الأغراض الشعرية الأخرى مثل رثاء المدن، ووصف الطبيعة.

خامسًا: تعتبر مدينتنا بلنسية وحاضرتها الرصافة من أكثر المدن التي أشار إليهما الشعراء في حنينهم إلى أوطانهم .

قائمة المصادر والمراجع :

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد، الديوان، تحقيق د. عبد السلام الهراس، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية، المغرب، 1999م.

ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، طبعة بريل، ليدن، 1302.

ابن المعتز، أبو العباس عبد الله، البديع، تحقيق د.محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م.

ابن منظور، جمال الدين محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الرابعة، 2005م.

ابن منقذ، أسامة، البديع في نقد الشعر، تحقيق د.أحمد أحمد بدوي، ود. حامد عبد المجيد، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

الإسرائيلي، أبو إسحاق إبراهيم بن سهل، الديوان، تحقيق يسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 2003م

الأنصاري، أبو عبد الله بن الجنان، الديوان، تحقيق د. منجد مصطفى بهجت، 1990م.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق د. محمود محمد شاكر، مطبعة دار المدني، جدة.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.

الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله، الإحاطة فى أخبار غرناطة، تحقيق د. محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1973م.

خسيوس روبيرامتى ، ماريا، الأدب الأندلسي، ترجمة د. أشرف دعدور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999م.

الداية، محمد رضوان، فى الأدب الأندلسي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 2000م.

الرصافي، أبو عبد الله محمد بن غالب، الديوان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، 1983م.

الرندي، أبو الطيب صالح بن شريف، الديوان، تحقيق د. حياة قارة، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى ، 2010م.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م.

الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، مصر ، الطبعة العاشرة، 1994م.

عبد المطلب، محمد، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة العلمية للنشر لونجمان، مصر، الطبعة الأولى، 1995م.

عتيق، عبد العزيز، الأدب العربي في الأندلس، دار الآفاق العربية، القاهرة.

العسكري، أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق د. أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1952م.

الفيروز آبادي، مجد الدين أحمد، القاموس المحيط، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، 2005م.

القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1986م.

القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، تحقيق د. عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م.

المغربي، علي بن سعيد، الديوان، تحقيق د. هالة الهوارى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2012م.

المغربي، علي بن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة.

مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري استراتيجيات التناسل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1986م.

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد ، تحقيق د. إحسان عباس، دار
صادر، بيروت، 1986م.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، تدقيق
طارق الأشهب، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، 2012م.

هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة،
1997م.